

حملات المساجين البرية على أرض الروم بآسيا الصغرى

في عهد الوليد بن عبد الملك

(٨٦ - ٩٦ م / ٧٠٥ - ٧١٤ م)

مكتوبة

صفار حافظ عبد الفتاح

كلية الآداب ببنها

اهتم الوليد بن عبد الملك منذ أن تولى خلافة بني أمية في سنة (٨٦ م / ٧٠٥ م) بمقتامة حركة الفتوحات الإسلامية في آسيا الصغرى على الجبهة البيزنطية ، فتوالى حملاته البرية عليها حتى أن المصادر^(١) في ذكرها للعواصم خلال سنوات حكم الوليد التي استمرت عشر سنوات لا تخلو من إشارة لعمله أو عدة حملات في كل سنة .

والتأمل في هذه الحملات البرية المتوالية التي أرسلها الوليد يدرك تمام الإدراك أنها لم تكن مجرد حملات حربية الهدف منها الاكتفاء بالاستيلاء على عدة مواقع حصينة في آسيا الصغرى ، أو أنها كانت مجرد حملات الهدوء منها بث الخوف والرعب في الجانب البيزنطي ، أو تأخير حدود الدولة الأموية على تلك الجبهة ، ولكن يبدو أن هذه الحملات كانت جزءاً من خطة أهم وأكبر من ذلك ، هدفها الاستيلاء على القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية ، لتحقيق الحلم الذي طالما

(١) انظر : خليفة بن خلدون : تاريخ خليفة بن خلدون ، تحقيق سهيل زكار ، وزارة الثقافة ، القسم الأول ، ص ٢٩٧ - ١١٨ ، الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦١ م ، ج ٦ ص ٢٦ - ١٩٢ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، دار الكتب العربي ، بيروت ، ١٩٨٢ م ، ج ٤ ص ١٠٦ - ١٢٥ - الطبري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق محمد الجبوري ، سلسلة الكتاب ، القاهرة ١٩٧٦ م ، ج ٢١ ص ٢١١ - ٢١٢ ، ابن خلدون : المعبر وغيره من المبتدأ والمخير ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ١٩٧١ م ، ج ٢ ص ٧٠ - ٧١ .

رأود المسلمين عامة والخلفاء الأمويين خاصة ، باعتبارهم ضرورة سياسية
وحرية لصلة الدولة^(١) .

كانت الظروف الداخلية والخارجية في الدولة الأموية مهية لكي
يقدم الوليد بن عبد الملك على فتح القسطنطينية ، قد كانت السنوات
العشر التي اعتلى فيها عرش الخلافة الأموية (٨٩ — ٩٦ هـ / ٧٠٥ —
٧١٤ م) من أكثر السنوات ازدهاراً في تاريخ الدولة الأموية ، ففي
الداخل تمتعت الدولة بالرخاء والأدهار وانتشار السلام في ربوعها ،
وفي الواقع كان هذا الازدهار والسلام ثمرة جهود جبارة بذلها أبوه
الخليفة عبد الملك بن مروان^(٢) على مدى عشرين عاماً ، هي مدة خلافته
(٩٥ — ٨٩ هـ / ٧٠٥ — ٧٠٥ م) ، التي تقاسمها في توطيد الأركان
الداخلية لدولته ، وتثبيت دعائمها ، تعمل على القضاء على الفتن
والثورات التي هددت وحدة الدولة ، فاقضى على فتنة عمرو بن سعيد
ابن العاص الأموي الملقب بالأنشدق في سنة (٧٠ هـ / ٦٨٩ م)^(٣) ،

(١) إبراهيم عبد الحميد : الأمويون والبيزنطيون ، الدار الشامية
للطباعة والنشر ، ١٩٦٣ م ، ص ٢١٢ ، وسلم عبد العزيز مرج : الملاحات
بين الامبراطورية البيزنطية والخولة الاموية ، حيلة الكتاب ، الاسكندرية
١٩٨١ م ، ص ١١٦ .

(٢) ولد عبد الملك بن مروان بالحنينة الموفرة في سنة (٢٩ هـ / ٦٤٦ م) ،
وكان أحد علماء المدينة وفتياً ، عرفه بمحبة المسجد لأبيه على
قراءة القرآن بسجدة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وتولى الخلافة
بعد من أبيه مروان بن الحكم ومن نسله كان الخلفاء الأمويون المروانيون ،
وكان حاكماً ، لها ، بها ، قوى إقليمية ، ذات النفس على للشاذل .
انظر ، ابن طباطبا : الفخرى في الآداب السلطانية ، دار صقر ، بيروت ،
ص ١٢٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،
ج ٩ ، ص ٦٧ — ٧٦ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ، دار الفرائد ، بيروت
١٩٦٩ م ، ص ٢٠٠ — ٢٠١ .

(٣) عمرو بن سعيد لقب بالأنشدق لمساعدته ، سليل مروان بن الحكم
حتى تولى الخلافة فبايعه مروان بولاية العهد بعد خالد بن يزيد بن معاوية ،
لما تولى عبد الملك الخلافة بعد أبيه راضي عمرو بن سعيد بمساعدته ،

وتسمى لحركة عبد الله بن الزبير فقتل عليها في سنة (٧٣ هـ / ٦٩٢ م)^(١١) ، وقضى على الخوارج وقرى شملهم^(١٢) ، ونصح في القضاء على فتنة عبد الرحمن بن الأشعث وبقائه في سنة (٨٤ هـ / ٧٠٤ م)^(١٣) .

ولكنه عاد وباعه بعد تنقل الأمويين بينهما ، ثم استولى على دمشق في شبعبه عبد الملك عنها ، فاستخرج عبد الملك للصلح ثم غدر به وقتله بنفسه ، انظر ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ، ج ٥ ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ ، ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٠ م ، ج ٤ ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ ، ج ٥ ، ص ٢٩٤ ، الديلموري : الأئمة الطوائف ، تحقيق عبد المظفر عيسى ، القاهرة ، ١٩٦٠ م ، ص ٢٨٠ - ٢٨١ .

(٥) خرج عبد الله بن الزبير على الأمويين في عهد يزيد بن معاوية ، وبويع بالخلافة في مكة في سنة (٦٢ هـ / ٦٨١ م) ونظمت المصالح والمفاسد وبصر واليمن في طاعته ، فلما تولى عبد الملك بن مروان الخلافة سار بنفسه للدمشق واستولى عليها وقتل مصعب بن الزبير ، وأرسل للمصالح جيشا بقيادة الحجاج بن يوسف حاصر ابن الزبير في مكة ، حتى قتل عليه وقتله في سنة (٧٣ هـ / ٦٩٢ م) . انظر ، طبعة ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ٢٤٢ ، ابن خلدون : الإمارة والسبابة ، تحقيق طه الزبيدي ، مؤسسة الطبع ، القاهرة ، ج ٢ ، ص ٢٢ - ٢٥ ، الديلموري : المصدر السابق ، ص ٢٠١ - ٢٠٤ ، ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ١٢٢ .

(٦) الخوارج اربعة فرقة خرجوا على علي بن أبي طالب عند توليه الحكم ، ثم تمسبوا وأصبحت لهم آراء دينية متطرفة ، وغلبوا بكثير من الثورات في عهد الدولة الأموية ، واستطاعت جيوش الدولة في مهبط عبد الملك بن مروان تفريق شملهم وقتل زعمائهم ، انظر ، الأندلسيين : الكتل والنقل ، تحقيق عبد العزيز الوكيل ، مؤسسة الطبع ، القاهرة ، ج ١ ، ص ١١٤ - ١٢٢ ، طبعة ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٢٤٧ - ٢٥٦ ، المسعودي : مروج الذهب ، دار الفكر ، بيروت ، ج ٢ ، ص ١٢٦ - ١٢٧ ، الديلموري : المصدر السابق ، ص ٢٧٢ - ٢٧٣ .

(٧) عندما امتنع ربيع ملك كابل من دفع الجزية أرسل الحجاج له جيشا أحسن أعداءه حتى «سبي يهبش الطوائف بقيادة عبد الرحمن

وعندما تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة كانت الدولة الأموية قد استكملت كذلك كامل تنظيماتها الاقتصادية والإدارية ، فعلى عهد أبيه عبد الملك بن مروان كان قد تم تعريب النقود بسكها بالسكة العربية الإسلامية ، وإحلالها بالتدريج محل الدينار الذهبي البيزنطي ، والدرهم الفخري الفارسي المتداول بها في الدولة ، وقد نتج عن هذا العمل الذي تم في السنوات (٧٣ - ٧٧ هـ / ٦٩٢ - ٦٩٦ م) تعريب اقتصاد الدولة الأموية من السيطرة البيزنطية^(٥) .

وقام عبد الملك بن مروان كذلك بتعريب الإدارة ، وذلك بإحلال اللغة العربية محل اللغات المتداولة في دولوين الدولة ، فبدأ بتعريب ديوان الشام فأحل اللغة العربية محل اللغة اليونانية لغة الدولة البيزنطية في سنة (٨٦ هـ / ٧٠٥ م) ثم تلى ذلك بتعريب ديوان فارس والعراق ، فأحل اللغة العربية محل اللغة الفارسية^(٦) .

أين الأسماء ، ولكن أين الاسمك أيضا في مهذبة رتبيل مما كان مسببا في سوء العلاقة بينه وبين الحجاج ، فعاد أين الاسمك العراق وأمن الثورة على الحجاج وخلق عبد الملك بن مروان ، وتقبل مع الحجاج في معركة دير الجبلهم بظاهر الكوفة في سنة (٨٤ هـ / ٧٠٤ م) لتولم فيها أين الاسمك وحرب ثم قتل فيها بعد وشارك ثبله ، انظر أين قتيبة ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٦ - ٢٩ ، الكبير ، المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٣٦٦ - ٣٨٢ ، أين الأثر : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٤ - ٧٧ .

(٨) لفصليل موضوع تعريب العملة ، انظر ، البلاذري ، فتوح البلدان ، لفر صلاح الدين الشهد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٦ م ، ص ٥٧١ - ٥٧٨ ، البهيتي : الحاشين والنسابة ، دار احباء العلوم ، بيروت ١٩٨٨ م ، ص ٥٢٢ - ٥٢٦ ، المقريزي : أمانة الآية بكتلف العملة ، القاهرة ١٩٤٠ ، ص ١٥ ، عبد الرحمن عيسى : موسوعة النقود العربية وعلم النقابة ، القاهرة ١٩٦٥ م ، ج ١ ، ص ٣٨ - ٥٢ .

(٩) انظر ، البلاذري : المصدر السابق ، ص ٢٢٠ - ٢٦٨ - ٢٦٩ ، المقريزي : التوامعة والاعتبال ، دار صفير ، بيروت ، ج ١ ، ص ٩٨ .

وسار الوليد بن عبد الملك على خطى سياسة أبيه ، فقام بتعريب
الديوان في مصر فأدخل اللغة العربية محل القبطية واليونانية في سنة
(٨٨٧ / ٧٠٥ م)^(١٠) . وكان هذا العمل الذي عرف بحركة « التعريب »
خطوة هامة قفّت على ازدهار لغة الإدارة ، مما نتج عنه استقرارها
ونضج أمورها ، وكان للوليد أيضا اهتمام عظيم بالإصلاحات الاجتماعية ،
والتواهي العمرانية^(١١) .

لما عن الأنواع الخارجية ، فقد نشطت الفتوحات الإسلامية في
عهد الوليد حتى وصلت المبحلة إلى أقصى اتساع لها ، ففي الجهة
الشمالية الشرقية تم فتح بلاد ما وراء النهر^(١٢) ، وفي الجهة الجنوبية
الشرقية امتدت الفتوحات إلى بلاد الهند حتى وصلت إلى اللتان في
جنوب البنجاب^(١٣) . وفي الجهة الغربية ، اكتملت فتوحات المغرب وصبرت

(١٠) الكندي : الرواة والقصص ، تصحيح ريان كسب ، مطبعة
الآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٨ م ، ص ٥٩ ، القزويني : المصدر
نفسه ، ج ١ ، ص ٩٨ .

(١١) قام الوليد بأبواب دمشق الجبل والانتقال عليهم ، وأعطى
كل شبر من بلادهم وكل مقعد ضاميا ، وقام ببناء المسجد الأموي بدمشق ،
وإحياء مسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) وإعادة بنائه ، أنظر :
خطبة ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٢٩٧ ، ابن طينطا : المصدر
السابق ، ص ١٢٧ ، السعدي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٦٦ ،
السعدي : المصدر السابق ، ص ٢٠٨ .

(١٢) البلاذري : المصدر السابق ، ص ص ٥١٦ — ٥١٩ ، خطبة
ابن خلدون : المصدر السابق ، ٣٩٧ — ٤١٠ ، اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ،
دار بيروت للطباعة ١٩٨٠ م ، ج ٢ ، ص ٢٨٥ — ٢٨٧ .

(١٣) البلاذري : المصدر السابق ، ص ٥٢٤ — ٥٢٩ ، اليعقوبي :
المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٨٨ — ٢٨٩ ، أنظر :

Lee — Poole : Medieval India under Muhammedan rule, Vol.
I, London 1951, pp. 2 — 5.

الجيوش إلى بلاد الأندلس واستولت عليها^(١٥) ، وأصبح الجزء الغربي من البحر المتوسط تحت السيطرة الإسلامية بعد مهاجمة الأسطول الإسلامي لجزره ومحا صقلية (سردانية) وكريت (لقريطس) وجزر البليار (هيورقة وملورقة ويليبي)^(١٦) .

أما الجبهة الشمالية ، فكانت تمثل العدو المشترك مع الدولة البيزنطية التي لم تنس للمسلمين أبدا حرمانها من أهم وأغنى أقاليمها في الشرق حيث استولى المسلمون على الشام^(١٧) ومصر^(١٨) وأجبروها على الانسحاب إلى آسيا الصغرى خلال حركة الفتوحات الأولى في عهد الخلفاء الراشدين ، ومنذ ذلك الحين كانت تلك الجبهة أكثر جبهات الدولة الإسلامية اشتعالا بالحروب ، فالبيزنطيون (الروم) لم يئاسوا من استعادة الأقاليم التي فقدوها ، والمسلمون يرغبون في تنويع فتوحاتهم باستيلاء على القسطنطينية والقضاء على الدولة البيزنطية كما استولوا من قبل على المدائن عاصمة الفرس وقضوا على الدولة الفارسية .

كانت الحدود التي تفصل بين البيزنطيين في آسيا الصغرى

(١٥) البلاذري : المصدر السابق ، ص ٢٧٢ - ٢٧٤ ، ابن خلدون : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ج . م . كولان ، ١ . ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، بيروت ١٩٦٨ م ، ج ١ ، ص ٢٩ - ٢٩ ، ابن خلدون : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٨ - ٦٦ .

(١٥) البلاذري : المصدر السابق ، ص ٢٧٩ ، ابن خلدون : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٧ - ٥٨ ، أحمد مختار المبادئ : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، الإسكندرية ١٩٦٨ م ، ص ٨ - ١١ .

Bédé : Vie et Mort de Byzance Paris 1949, p. 71.

(١٦) ابن خلدون : البيان المغرب ، البلاذري : المصدر السابق ، ص ١٢٨ - ١٢٩ .

(١٧) ابن خلدون : البيان المغرب ، انظر : ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأشبارها ، تحقيق محمد صبيح ، مؤسسة دار التمام للطبع والنشر ، القاهرة ١٩٦٨ م ، ص ٢٧ - ٢٨ .

والمسلمين في شمال الشام والجزيرة حدوداً طبيعية تألفت من سلسلة
جبال طوروس ، وجبال طوروس الداخلية « أتقي طوروس »
(Ard — Toros) التي سميت أيضاً جبال الأمانوس
(Ammanus) ^(١٩١) ، وبماها المسلمون جبل الكام ^(١٩٢) ، وكانت هذه
السلسلة الجبلية الشاهقة تمتد بطول الحدود من البحر الأبيض حتى
بحر قزوين وتتخللها عدة طرق أو مسالك عرفت بالدروب ^(١٩٣) ، وكان
يوجد على طول هذه الحدود دياراً من الحصون والقلاع والمدن التي
سميت بالثغور ، ويقول ابن خلدون ^(١٩٤) في معنى الثغور : ومفردها
ثغر أو ثغرة ، وهي تل مخرجة في جبل أو بطن واد أو طريق مسالك ،
والثغر الموضع الذي يكون حداً مسلحاً بين بلاد المسلمين والكفار وهو
موضع الحفاة من أطراف البلاد .

وانقسمت هذه الثغور الى منطقتين : إحداهما تسمى الجزيرة ،

(١٩٨) كي لسترج : بلدان الخلافة القرطبية ، نظه للعربية جـ
فرنسيس وكوركيس عواد ، مطبعة الرابطة ، بغداد ١٩٥٤ م ، ص
١٦٠ ، انتهى مثيان : الحدود الإسلامية البيزنطية ، الدار القومية للطباعة
والنشر ، ص ١٢٢ ، ١٦٢ .

(١٩٩) من جبل الكام ، انظر ، البلاذري : المسمر السابق ،
ص ١٨٩ ، ابن خلدون : المسالك والممالك ، لندن ، أبريل ١٨٨٩ م ،
ص ١٧٢ ، ثمانية بن جابر : كتاب الفرائج وصناعة الكتابة ، لندن ،
أبريل ١٨٨٩ م ، ص ٢٢٢ ، ابن خلدون : صورة الأرض ، منشوراته دار
مكتبة الصفاء ، بيروت ١٩٧٩ م ، ص ١٥٤ — ١٥٧ .

(٢٠٠) الدروب ، ومفرده درب ، والحرب هو الطريق الذي يسلكه
الفر ، ياقوت : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ١٩٧٩ م ، ج ٢ ،
ص ٤٧ ، مادة (درب) ، وسلك المسلمون من هذه الدروب طريق أولها
درب الحدث في الشمال الشرقي ، ودرب الابواب القبايقية شمال طرسوس ،
انظر ، لسترج : المرجع السابق ، ص ١٦٥ — ١٦٦ .

(٢٠١) ابن خلدون : لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة ، ج ١ ،
ص ٨٦ ، وانظر أيضاً من تعريف الثغور ، ياقوت : المعجم السابق ،
ج ٢ ، ص ٧٩ .

وتسمى الثغور الحزوية ، وهي الشمالية الشرقية ، وثغورها هي ملطية ودرطرة وحسن منصور و (بهنسى) والحدث ومرعش والمارونية والكثيفة وعين زربية ، والثانية تحصى الشام وتسمى الثغور الشاميه وهي الجنوبية الغربية بالقرب من السهل الشمالي خليج اسكندرية (الاسكندرونة) ومحتها المصيمة وأقننه ومارسوس^(٢٢) ، ومع أن جبل الكمام كان يفصل بين المنطقتين^(٢٣) ، إلا أن الحدود قد شمال الجزيرة وشمال الشام كانت وحدة تقم بمفها البعض من حيث ارتساق حصونهما وتعرضهما لاغارات البيزنطيين^(٢٤) .

وقد اهتم المسلمون منذ بداية أمرهم بتحسين هذه الثغور وشحتها بالمقاتلة الذين أقاموا بها للجهاد ، فزرو الروم^(٢٥) ، وكان من أثر ذلك أن أصبح هناك نظام لحرب الروم عرف بالمسواتف والشواتى ، فكانت المسواتف ومفردتها حاشية تخرج للفرز مرتين : الحملة الأولى وتعرف بالربيعية وتبدأ في أواسط آيار (مايو) عندما تكون الخيول قد سمكت لمدة ثلاثين يوما تتابع فيها الرعى في الأراضي البيزنطية وبعدها يرتاح المسلمون شهرا ليبدأوا الفرز مرة ذلك لمدة شهر آخر ، وبهذا يكون المجموع ستين يوما ، أما حملات الشواتى ، ومفردتها شاتية تسمى أقصر مدة وتطلقا وعملها محمود لبرودة الجو ، وتكون حملة واحدة تبدأ من

(٢٢) من منطلق الثغور ، انظر ، ابن خردادبة : المصدر السابق ، ص ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، نهاية بن جعفر ، المصدر السابق ، ص ٢٥٢ — ٢٥٤ ، ابن ربيعة : الإملاق للنفيسة ، لبنان ، بريل ١٨٩١ م ، ص ١٠٦ — ١٠٧ ، ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ١٥٢ .
(٢٣) الاسطخرى : المسالك والممالك ، دمشق محمد جابر عبد الحمى الحنبلى ، وزارة الثقافة ، القاهرة ١٩٦١ ، ص ٤٢ ، ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ١٥٤ .

(٢٤) انظر ، الحمى حسان : المرجع السابق ، ص ١٤٢ .

(٢٥) البلاذرى : المصدر السابق ، ص ١٥٢ — ١٧٢ .

أواخر شباط (غيراير) إلى أوائل آذار (مارس) (٢٦) وقد ساعدت حملات المولدة، والثواتي المسلمين على حماية شعورهم والدفاع عن حدودهم، وأثارت لهم ميداناً تجريوا عليه على الحرب مع البيزنطيين.

ومن ناحية أخرى كان للروم نظام للدفاع عن حدودهم يعرف بنظام الثغور *Thema* ثم ليتود أو الأجناد، كما أطلقت عليه المصادر العربية (٢٧)، وتولى كل ثغر *Thema* قائد عسكري (استراتيجوس *Strategos*) جمع في يديه السلطة العسكرية بالإضافة للإدارة المدنية، وتحت يده جيش من الجند الذين منحوا الأقطاع لزراعتها لتزويدهم في الاستقرار والدفاع عنها، وقسمت مملكة آسيا الصغرى المتاخمة لحدود الدولة الإسلامية إلى أربع مناطق إقليمية *Thema* كان لكل منها منطقة تجميعها، وشعر الأرمنياقي *Armeniaci* وشعر الأناطولي *Anatolici* يهيئان الحدود الممتدة من القسطنطينية في الشرق إلى شواطئ بحر إيجه في الغرب وشعر الأيبسلي *Opiskion* قرب بحر مرمرة كانت مهمته حماية القسطنطينية، والأخر الرابع كبيريو *Chyrraco* في الشاطئ.

(٢٦) ابن خرداذبة: المصدر السابق ١ ص ٢٥٩، البلاذري: المصدر السابق ٤ ص ١٦٤ — ١٦٥، ياقوت: المصدر السابق ٤ ج ٢ ص ٨٠.

(٢٧) يقول ياقوت عن تسمية الأجناد إن: الأجناد جمع جنود، والجنود التجميع، ويشتق جنوداً أي جميعه، جميعاً، كما ليس الجنود فرساً جاء من الرابطة والجنود التي اتخذتها الدياق في الاتهام شملوا لها، انظر: ياقوت: المصدر السابق ٤ ج ١ ص ١٢٠، إبراهيم أحمد العمودي: الأبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية، مكتبة النهضة مصر، القاهرة ١٩٥١ م، ص ١٥٥، وكانت المصادر العربية على دراية كبيرة بنظام الثغور البيزنطي وتسميته، ومواقع هذه الثغور وأعداد الجند، انظر: ابن خرداذبة: المصدر السابق ٤ ص ١٠٥ — ١١١، قداسة بن جعفر: المصدر السابق ٢٥٥ — ٢٥٦، العمودي: الضيق والاضراب، دار مكتبة الهلال، بيروت ١٩٨١ م، ص ١٦٦ — ١٦٩، ياقوت: المصدر السابق ٤ ج ٢ ص ٩٨ — ٩٩.

الجنوبي لآسيا الصغرى والجزر المجاورة ، كان يحصى حدود الدولة البيزنطية ضد الأسطول الاسلامي^(٢٨) . وقد أصبح هذا النظام الثغرى المعمود الثغرى الذى تركز عليه الدولة البيزنطية في الدفاع عن حدودها^(٢٩) .

ومن المؤكد أن نظام الثغور البيزنطى كان عقيمة في طريق الزحف البرى لجيوش الوليد بن عبد الملك في آسيا الصغرى ، إلا أن هذه العقيمة لم تصمد طويلا أمام المسلمين بسبب تدهور الأحوال الداخلية في الدولة البيزنطية والتي كانت تسير من سوء لأسوأ في الفترة التي عاصرت حكم الوليد بن عبد الملك ، فقد اعتلى عرش الدولة البيزنطية الامبراطور جستنيان الثالث للمرة الثانية^(٣٠) (٨٦ — ٩٣ م / ٧٠٥ — ٧١١ م) بعد هروبه من منفاه في خرسون Cherson في شبه جزيرة القرم لذي قضى فيه ما يقرب من عشر سنوات على أثر القبض عليه وجدع أنفه في سنة (٧٩٨ م / ٧٩٠ م)^(٣١) .

(٢٨) من نظام الثغور البيزنطى ، انظر :

Vasiliev : History of the Byzantine Empire, 324 — 1453, Madison 1961, pp. 226 — 228; Bury, A History of the Later Roman Empire, London, 1829, II, pp. 348 — 349.

(٢٩) السيد ليلال العربى : الدولة البيزنطية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٠ م ، ص ١٠٦ — ١٠٩ ، ١١٢ ، على ملكن : المرجع السابق ، ص ١٠٤ — ١١٢ ، حسين ربيع : تاريخ الدولة البيزنطية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٨٢ م ، ص ٧٤ — ٧٧ .

(٣٠) حكم جستنيان الثالث الدولة البيزنطية في الفترة الأولى ما بين سنتي (٦٥ — ٧٦ م / ٦٨٥ — ٦٩٥ م) واستقرت هذه الفترة المشر سنوات الأولى من حكم عبد الملك بن مروان الذي كانت خلافته في الفترة (٦٥ — ٨٦ م / ٦٨٥ — ٧٠٥ م) . انظر : حسين ربيع : المرجع السابق ، ص ٩٤ .

Ostrogovsky : History of the Byzantine state, Tr. (٢١)

Humez, Oxford, 1968, pp. 139 — 140; Bury : op. cit; pp. 329 — 330, Foed : the Byzantine Empire, London 1911, p. 149.

ولا كان جستينيان الثاني يتكف بالانحطاع والاستبداد ويعتقر
لنهر من وسع النظر ، فقد قصي منظم الغيرة الذاتية من حكمه في الانتقام
من أعدائه وعماقيه كل من أبناء كليه ، في الوقت الذي أحمل أحوال
الدولة ، وهجمات العرب المتواليه على حدودها ، وظل كذلك
حتى انتهى لمره بالقتل لينتهي بفيليته حكم أسرة مرغل في سنة
(٩٣ م / ٧١١ م) (٣٣) .

وأعقب هؤلاء جستينيان الثاني فترة من القوضى وانتشار البتن
وبعاقب الامطره على الحكم . حيد وانكثت تلك الفترة سافيه من حكم
الوليد حكم انتهى من الأيمره . الامر شور الأول غيليت (٩٣ - ٩٥ م /
٧١١ - ٧١٣ م) والي R الذي الامراطور انطونيوس الثاني (٩٥ -
٩٧ م / ٧١٣ - ٧١٥ م) (٣٤) .

وهكذا وجد الوليد بن عبد الملك الظروف جميعها مهيأة لبدء
سجار مسروعه المحكم وهو تابع القسطنطينيه ودرسه وتعليم
الاصناف التي قام بها الوليد إلى حيا المجال ينشئ له أنه وضع نقد مع
القسطنطينية خطة محكمة لم تكن من وهي الرجال وانما كانت بمره
تذكر متأسى ، إذ قسم الوليد نفسه على مرحلتين كانت برهته الأولى
هي الاستيلاء على الخربل المصري المؤدى إلى القسطنطينيه عبر آسيا
الصغرى من طريق إسفاد حصاره الموانئ والموانئ لتتلاقه التي
مركز ضرباتها على هذا الطريق معده من تاسيت الجهد في جهات أخرى
في آسيا الصغرى .

(٣٣) Ostrogorsky, op. cit, pp 146, 142 - 143 Bury, op cit, (٣٣)
pp. 161 - 166.

أحد رسل الروم في ذكر المكشوف ، ج ١ ، ص ٢٧٢ .

(٣٤) Bury op cit pp 369 - 370.

وصامود المزبور غريغ المرجع السابق ، ص ٦٨ - ٧١ ، وصح
ربيع : المرجع السابق ، ص ١٠١ .

أما المرحلة الثانية . فتتلى بعد الانتهاء من المرحلة الأولى وهي خروج حملة بويه كبرى تسير عبر الطريق الذي تم الاستيلاء عليه مهاجمة القسطنطينية بمساعدة الأسطول الإسلامي .

ولم ينزل الولد عن تكريس للجهود وتجهيزها في سبيل نجاح المرحلة الأولى من خططه فاهتم بتشد الجند الأمرو وغيرهم بمسورة خاصة على أهل قبة مسورة إدارته في هذا الأمر حيث خرج من أهلها ٢٠٠٠ شخص أمرو الروم^{٢٤} وليس من الصعب استقراء غرض الوليد من الاهتمام بمسورة رجال المدينة من أحد المهاجرين والأحرار وما في ذلك من أهمية خاصة فتسعة كتب كان أهل مدنه يخرجون لمسورة في الفجر والجهاد وما في ذلك من إضفاء طابع الجهاد بتدريس على هذه الحرب .

وقد استعدي للخطوط الخروج العديد من حملات الصوائف والشوامس خلافة وجود عدد من القواد بذلك هم لمزيد بمقد عدد من لأحر^{٢٥} الأمويين لقيادة هذه الحملات ما في ذلك من إضفاء الأهمية على هذه الحملات من ناحية وتضمن سلاوة وإخلاص بعضهم لدى المواد من ناحية أخرى وفي حقيقة كان تمام مرء^{٢٦} نائب الأموي بقيادة الحملات لمواجهة عد البربر حين تنظيم بداهة الخليفة معاوية بن أبي سفيان (٤١ - ٦٥ هـ / ٦٦١ - ٨٦٠ م) عندما طرح له يريد على رأس الدعوة التي وجهها لفتح القسطنطينية في سنة (٦٦٩ هـ / ٦٦٨ م)^{٢٧} .

(٢٤) اليعقوبي : المرجع السابق ، ج ٢ ص ٢٨٤ ، ويعكر النظري أن عدد المشاركين من أهل المدينة في الفتح كان ١٥٠ رجل ، انظر ، النظري ، المعجم السابق ، ج ٦ ص ٢٢٤ .

(٢٥) كان في هذه الحملة عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وأبو أيوب الأنصاري ، انظر ، ابن الأثير ، المعجم السابق ، ج ٩ ص ٢٢٧ .

وتابع جيد الملك من هروان هذا التقليد ، فأخرج ابنه الوليد لمعرو
السايفة ، في سنة (٧٧ / ٦٩٦ م) وفي سنة (٧٩ / ٦٩٨ م)^(٣٧) ،
كما أخرج ابنه جيد الله لمعرو للسايفة في سنة (٨٤ / ٧٧٣ م)^(٣٨) .

وسيلر أتوليد على نفس الطريقة ، فوضبع
على رأس قلعة القواد ثغاة صلعة من عيد الملك^(٣٩)
ويشم المقتوي^(٤٠) إلى أن اختير الوليد لسلطه ثم بعد
مبايعة الوليد منعه ، فمقول أنه بعد أن ألقى خطبه التي هي فيها
بعد الملك لماس ، مرل فمقد لسلطه أنه على عزاء الروم فمقد في عدد
كبير ، وفي هذا ما يوضح اهتمامه بهرب الروم من ناهيه وإقتاعه
مقدوره وكذاه سلطه من عدد الملك من ناحية أخرى وقد أثبتت لأسام
بعد نظر مؤيد ، كان سلطه من أسمع قواد لسلطه سجاعه وهنكه
في هروب الروم ، حتى سعى مناه معي أمدة^(٤١) . وسعى أياب بالحراده

(٣٦) انظر خليفة بن خياط المصدر السابق ، القسم الثاني ، ص ٢٥٥ ، ٢٥٦

(٣٧) البلاذري المصدر السابق ، ص ١٩٥ ، الطبري : المصدر
السابق ، ج ٦ ، ص ٢٨٥ .

(٣٨) كان مسلمة بن عبد الملك بن أعظم رجالات بني لينة عليا
وأديا ، وكان كريها بجوزل المطاء الأدياء ، مقدما ذا قوة وناس على نيل
منه أنه كان أولى بالخلافة من سائر أئدته ، فولى أديها وأقربهم
لاحيه الوليد ، ودولب المراق لحيه يزيد ، وتوفى في سنة (١٢١ / ٧٢٨ م) .
انظر : الزبيري ، نسب القرشي ، صححه : آلهي برونسلي ، دار
المعارف ، القاهرة ، ص ١٦٥ ، ابن حزم : جملة أنساب العرب ، دار
الكتب العلمية ، بيروت ، ص ٨٩ ، ١٠٢ ، ١٠٩ ، ابن خلكان : وبعده
الإيمان ، دار صادر ، بيروت ، ج ٥ ، ص ٢٢٠ ، ج ٦ ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٩ ،
ابن كثير : المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٢٦٦ — ٢٧٠ .

(٣٩) المقتوي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٨٢ .

(٤٠) انظر : عبد المنعم بلجد : التاريخ السياسي للدولة العربية
(مصر بنى لينة) ، مكتبة الانتجو المصرية ، القاهرة ١٩٨٢ م ص ١٦٢ .

المصر^{١١٦} . وقد أتاح له الوليد اختباره قائدًا لعظم الحملات
البيرية على الروم في عهد حيد^{١١٧} وأيضًا تدرب فيه ، وصقلت موهبته
حتى أصبح من أكثر القواد خبرة معروب الروم وخطاياها ، واختاره
الخليفة سليمان بن عبد الملك بقيادة حملته الكبرى للاستيلاء على
القسطنطينية في سنة (٨٩ هـ / ٧١٦ م)^{١١٨} .

وكانت الشخصية التالية التي اختارها الوليد لتكليم القيادة
مع مسلمة هو ابنه العباس بن الوليد ، والعباس أكبر أبناء الوليد
ونه يكنى^{١١٩} ، وكان العباس حارسًا لقلب مدارس بني مروان ،
وكانت أم العباس أم ولد رومية^{١٢٠} . وربما كان العباس يتقن
لسان قومها مما أتاده في هروب الروم . وقد عمل العباس بن الوليد
مع مسلمة بن عبد الملك في دفاعهم كامل مما نتج عنه تطبيق النصر في كثير
من معارك التي خاضها معا . وقد عرف جميعًا هذا النظام فوجد
أن الخليفة يزيد بن عبد الملك (١٠١ - ١٠٥ هـ / ٧٢٠ - ٧٢٤ م)

(١١) الزبيري : المصدر السابق ، ص ١٦٥ ، ابن كثير : المصدر
السابق ، ج ٩ ، ص ٢٦٦ ، ويبدو أن هذه القصة جاءت من استمراره وصبره
في الهروب على أقدام أعدائه .

(١٢) عن هذه القصة ، انظر ، الطبري : المصدر السابق ، ج ٦ ،
ص ٥٢٠ - ٥٢١ ، ٥٥٢ ، ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص
١١٦ - ١١٧ ، ١٥٤ ، إبراهيم الطبري : الأعراب والبربر ، ص
٢٢٢ - ٢٢٣ .

(١٣) الزبيري : المصدر السابق ، ص ١٦٥ .

(١٤) الزبيري : الإعلام ، ج ٢ ، ص ٢٦٨ ، وانظر :

The Encyclopedia of Islam, new edition, London, 1960, (Art
Al Abbas. B. Al-Walid) pp 12-13.

وفاي العباس في سنة (١٢٢ هـ / ٧٤٠ م) حيث كان الخليفة
مروان بن محمد قد قبض عليه وسجنه ، انظر

Ency. ibid, p. 13.

فيما بعد ينتحباها معا للقتاء على لغة مريد بن لعلب في العراق في سنة (١٠٢٠ هـ / ١١٧٠ م) ١٩٥٥ .

كذلك الترتيب الوليد عددا من لسانه "١" في التبادله كان منهم عمر وحموان وعدد العرب ومشر "٢" وتشير بعض المصادر لمشاركه هشام ابن عبد الملك في القندهه أيضا "٣" ولم يشارك في تلك الفتوحات من غير الأمويين لا حاضرين هما الوليد بن هشام الحسبي ومريد بن أبي كثر "٤" .

وكان على الوليد بن عبد الملك في بدايه تلك المرحلة مواجهة مشكله حربيه استراتيجيه ورنها من أميه عبد الملك بن حموان وهي مسئلة انجر جبهه دويش الجراحه الى بلدتهم الجرحومه حتى تقع في جيل التكام "٥" ، وأفاق عليهم المسلمون أيام المرددة كثرة حسانهم

(١٥١) حولي مريد بن المصفر خراسان في سنة ٩٧ هـ / ٧١٥ م في عهد سليمان بن عبد الملك ولا يخرج طرسيل استولى على احواليه مسجيه الخليفة عمر بن عبد العزيز . ولكنه استنجد الحرب من سجنه وأعلن الثورة في عهد مريد بن عبد الملك معاربه جيوش الامويين وتنتصرت عليه ، نظر ، ابن لائير المصفر الساساني ، د ٤٠٠ هـ ، ص ١١٧ ، ١١٦ ، ابن خلكان : المصفر الساساني ، د ٤٠٠ هـ ، ص ٢٦٨ - ٣٠٩ .

(١٦١) عن أبناء الوليد ، النظر ، الطبري : المصفر الساساني ، ص ١٦٥ ، ابن خلدون : المصفر الساساني ، ص ٨٩ .

(١٧١) خليفة بن خياط : المصفر الساساني ، ص ١١٨ ، الطبري : المصفر الساساني ، د ٤٠٠ هـ ، ص ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٤٦ .

(١٨١) الطبري : المصفر الساساني ، د ٤٠٠ هـ ، ص ١٢٩ ، ابن الاثير : المصفر الساساني ، د ٤٠٠ هـ ، ص ١٠٧ .

(١٩١) الطبري : المصفر الساساني ، د ٤٠٠ هـ ، ص ١٨٢ ، ابن الاثير : المصفر الساساني ، د ٤٠٠ هـ ، ص ١٢١ ، ابن خلدون : المصفر الساساني ، د ٤٠٠ هـ ، ص ٧١ .

(٢٠١) تذكر المصفر : ابن الجرجاني بخيلة على جيل التكام عند مدح الراجح فيها بن يونس وبنو اسنر ، البلاذري : المصفر الساساني ، ص ١٨٩ ، بلوك : المصفر الساساني ، د ٤٠٠ هـ ، ص ١٢٧ .

ومعهم ، وكانو محبوسين بالسيف ، وقد لعب هؤلاء الجراحمة دوراً
 هاماً في الحروب التي دارت بين المسلمين والبريطانيين في شمال الشام
 فكانو يستغلون موقع بلدهم في أعالي الجبال ويوقعون يحنوس
 لسمي الله خروجها نحو الروم ، وجعلوا المسلمين مهلكة هؤلاء
 الجراحمة مصلحتهم واعتاقهم من دفع الحرمة وعن دور جدي
 فكانوا كما يقول بلاتري^(١) : « يستعملون هؤلاء مرة وبمرحون
 أخرى فكتائب الروم ومقاتلوهم » واستطاعوا أن يكتسبوا
 مدينتهم ، حتى أراضي البرمانيين في آسيا الصغرى وعرفت بهجوم
 الاسلامي عليها^(٢) .

وكانت منذ ذلك من مروان حل مشكلة الجراحمة بعمل على عقد
 معاهدة مع الأمير بطريرك بطريرك جنتيان الثاني في سنة (٧٠٥ م /
 ٦٨٩ م) معاهدة فيها دفع لبطريرك دالامر طور التي هي^(٣) في مقابل
 أن يقوم الأمير ، بترغيب الجراحمة أو برده على لايتل
 والاستقرار في الإقليم المأخوذة بدولة البرمانيه وذلك استناد
 على ذلك من مروان أن يتخلص من هذا الداء الكندي أو الجديد
 مما سبب أمام حربه مهاجمة الروم في آسيا الصغرى في نشره الأخير
 من خلافته^(٤) .

(١) بلاتري : المسفر السابق ، ص ١٨٩ .

Bury; op. cit. p. 317;

(٢) .

انظر : حسن ربيع : المرجع السابق ، ص ٦٦ .

(٣) ينظر الطبري أن هذه الإثارة كانت في كل جبهة الفديان .

انظر : الطبري : المسفر السابق ، ج ٦ ، ص ١٥٠ .

Bury; op. cit. pp. 317—321

(٤) .

من هذه المعاهدة انظر : السيد رستم : المرجع السابق ، ج ١ ص
 ٢٦٤ — ٢٦٥ ، إبراهيم المصري : الإمبريون والبيزنطيون ، ص ١١٦ —
 ١٢٠ ، رستم عبد المطلب فرج : المرجع السابق ، ص ٤٢ — ٤٥ ، حسن
 ربيع : المرجع السابق ، ص ٦٤ — ٦٦ .

ويبدو أن القضاء على شعار الجراجمة لم يكن نهائياً فقتل المصادر إلى أن هذا الخطر عاد للظهور مرة أخرى في أواخر عهد عبد الملك مما جعل الوليد يهتم بـ «آداب» على ذيول تلك المذبحة قبل أن يبدأ في إرسال حملاته البرية ضد بكر اليعقوبي^(٥٥) أن أول عمل أقدم عليه الوليد بن عبد الملك بعد مبايعته بالخلافة هو عقده لمسلمة على عزو الروم « فنفذ في عدد كبير فوجد جراجمة أنطاكية^(٥٦) قد خالفوا ، فقتل منهم مائة عظيمه » .

ولما كانت أنطاكية هي مكان المخالفة لهجمه للجراجمة الدائمه بها والمعرض لحيوس المسلمين عذبا فقد أحضر قوماً من الزبط^(٥٧) من أرسينهم محمد بن القاسم المعنى أثناء عزوه نيلاد سسند إلى احتجاج بن يوسف عامل نوليد على العراق وأستكم أنطاكية بيكوما عودا للمسلمين في القضاة على دمر الجراجمة^(٥٨) . كما عمل على تسكين جماعة من النجد واستقرا هم مانطاكية «صهيم» أرض سلوكنه حمد بساحل - وعبر العفر - وهو الحريب مدمنز ومدى قمع فمروها وجرى ذبح لهم ومضى ضمن سلوكنه^(٥٩) . ومع نولان نوليد من

(٥٥) اليعقوبي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٨٢ .

(٥٦) أنطاكية : مدينة حصينة بينها وبين حلب يوم وثيلة ، وبها ومن البحر غرسين وبها ومن السلطنة ، بيانه لشم نالين ، انظر ، ابن حنبل ، المصدر السابق ، ص ١٨٢ ، ملووت ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٦٦ - ٢٧٠ .

(٥٧) الزبط : جبل اسود من السلط فصب اليوم القباب الزطية وقيل الزط اصحاب جهه بالعندية وهم جبل من الهند ، انظر ، ابن بطويع ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٨٢ .

(٥٨) البلافري : المصدر السابق ، ص ١٩٢ .

(٥٩) البلافري نفسه ، ص ١٧٥ . والجريب هو وحدة قسطنطينية الارض الزراعية في العهد الاسلامي وقد ثبت أن يخدمه بالمسحة إلى القدر المصري من ١ ٧ ٢ ثغريباً أي أن كل هذا المصري يساوي ثلاثة اجربة .

وكسر قليل هو — من الجريب ، انظر ضياء الدين الرضوي ، الخراج ، ص ١٠ .

ص ٢٨٢ ، ٣٠٠ .

إرسال الجيوش لهزيمة الجراحته طوال عهده فيشير البلاذري^(٦٠) إلى اشتراك آخر بين جيوش المسلمين وبنو الجراحته في اسمه (٨٩ هـ / ٧٠٧ م) انتهى بانتصار المسلمين وتفريق شمل الجراحته^(٦١) .

ويشير البلاذري^(٦٢) إلى خطوه أخرى أقدم عليها لويزد لتأمين الطريق بين بحري أنطاكية والمصصة^(٦٣) التي تقع على مدنه الطريق البري المؤدي للقسطنطينية ، فقد كتلت الطريق بين أنطاكية والمصصة « حسيمة يعترض الماس فيها الأسد » فوجه الوليد إلى هذه الطريق أربعة آلاف جاموسة للقضاء على خطر السباع بها .

كأن هدف الحملات البرية التي أرسلها الوليد هو الاستيلاء على الطريق البري الواصل إلى القسطنطينية عبر آسيا الصغرى — كما ذكرنا — ولم يكن الاستيلاء على هذا الطريق بالأمر السهل ، حيث يبلغ طوله من ملحه بدائية من طرسوس^(٦٤) في شمال الشام وحتى نهايته على خليج البسفور الذي تقع عليه القسطنطينية ممفا وأربعمائة وخمسين ميلا ، وكان هذا الطريق هو الطريق الذي يملكه عماله

(٦٠) البلاذري : المصدر السابق ، ص ١٩٠ — ١٩١ .

(٦١) Chaim La Loria entre Arabes et Byzantines, Alexandria, 1947, p. 173—174

(٦٢) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ١٩٨ .

(٦٣) المصصة : بحيلة على شاطئ نهر جيهان بن شهر القمام بين أنطاكية وبلاد الروم تقرب طرسوس ، سمها عبد الله بن عبد الملك في سنة (٨٩٢ هـ / ٧٠٣ م) ومن سمها وشعبه القصد . انظر ، البلاذري المصدر السابق ، ص ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ١٦٧ — ١٦٨ ، ياقوت : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٤٤ — ١٤٥ .

(٦٤) طرسوس : من أجل الثغور القسبية وهي تعرف على المدخل الجندري لدرب الأبواب القسبية المسماة بدرب السلاية ، يقصدها المرابطون من جميع أنحاء الدولة الإسلامية لاحتياها . انظر ، ابن حوقل المصدر السابق ، ص ١٦٨ ، الأصبغري : المصدر السابق ، ص ١٧ ، ياقوت ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٨ — ٢٩ .

البريد ، وبجر منه وغود قنصر والجنيهه ، كم أنه الطريق الذي سمع فيه الحملات سواء من بلاد السلج ، أو بلاد الروم^(٦٥) ، وقد عني ابن خردادذه^(٦٦) بوصف هذا الطريق بوصف محطاته ، والمحدث الواقعة عليه .

وكان المسلمون يسيطرون على بداية هذا الطريق بسطرتهم على طرسوس التي تشرف على المضايق الضيقة لدرب الأبواب القبلية (Cilicia) المؤدي إلى بلاد الروم^(٦٧) وكان القسم الجنوبي من هذا الدرب يعرف بدرب السلامة^(٦٨) .

وكانت الخط التي وضعت للاستيلاء على بقية هذا الطريق هي للاستيلاء على الاستحكامات الحربية من المدن والحصون المطله عليه بالاستيلاء أولاً على أقرب موقع لبلاد المسلمين ثم اتخاذ نقطة انطلاق للاستيلاء على الموقع الذي يليه فاداً فارتدت عنه حصون صغيره ، كل الجيش ينقسم إلى مجموعتين أو أكثر لكل منها قائد للاستيلاء عليها في آن واحد .

كانت المدينة الأولى التي استول المسلمون على بلادهم بالاستيلاء عليها هي حوانه (Tayasa) وكانت تقع في الناحية الشمالية من درب الأبواب الليبية وهي بعد فتحها عند مفتاح الطريق القسطنطينية^(٦٩) وكانت

(٦٥) لسترج المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

(٦٦) ابن خردادذه المصدر السابق ، ص ٩٩ - ١٠٠ ، وحلزل لسترج شغل الموضع الذي ذكرها ابن خردادذه ، انظر : لسترج المرجع السابق ، ص ١٦٦ - ١٦٧ .

(٦٧) لسترج ، المرجع السابق ، ص ١٦٦ .

(٦٨) ابن خردادذه : المصدر السابق ، ص ١١٠ .

(٦٩) من موقع طرانة - انظر : ياقوت : المرجع السابق ، ص ١٠٥ ، لسترج المرجع السابق ، ص ١٧١ ، عنده مقابل المرجع السابق ، ص ٢٥١ .

من أهم وأخص مدن إقليم قباديقية (Cappadocia) (٧٠).

ووصلت الجيوش الإسلامية إلى أسوار طوانة مقبلة كل من
سلطان بن عبد الملك والباس بن الوليد (٧١) في سنة (٨٦ هـ / ٧٠٥ م)
في عدد كبير من الجند لحملتها ، واستلمت البيزنطيون في الدفاع
عنها ، وأمر المسلمون على مؤلفه الحصار فتذكر المصادر (٧٢) أن
البيزنطي خرجوا إلى طوانة في الصلحمة وانفروا في حصارهم بها حتى
سبوا بها وكان الحصار شديدا فعمل كل من المسلمين والبيزنطيين
على إرسال الإمدادات لجيوسهما فذكر ابن الأثير (٧٣) أن الوليد أمر
بترسيم عدد من أهل السام وخبرهم وأعظم جهازهم بم بطاع
مارسال هذا الجيش إلى أرمينية حتى لا تصد أخباره للروم ، وفعل
فرج بجيش إلى الجزيرة حيث الطويق لمرور أرمينية بم عطف منها
لملاد الروم في حين أرسل جيسيار الباني عددا كبيرا من الحديد
انظامي وبي عليم قائد من وجدهم عدد آخر من بجد غير
بمدام ، لذلك حووه رمطيف بسده الحصار عليها ، ولكن جيش
المسلمين قسى على هذه لاعداء التي وصلت على ما قيل بمسعى إلى
من الهند (٧٤) .

Onogovskiy, op. cit. p. 143

(٧٠)

ابراهيم العمري - المرجع السابق ، ص ٢١٢ ، سيرة ككليف :
الوليد بن عبد الملك ، سلطنة اعلان العرب ، ج ١٧ ، ص ١٦٥ .

Chabaz, op. cit. p. 172-173.

(٧١)

(٧٢) خليفة بن خياط : المرجع السابق ، ص ٢٩٩ ، الطبري :
المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ٢٤٤ .

(٧٣) ابن الأثير : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ١٠٨ .

(٧٤) خليفة بن خياط : المرجع السابق ، ص ٢٩٩ ، مجهول :
المعرون والمعدائل في تغير الحقائق ، لندن ١٨٧١ م ، ج ٢ ، ص ٢
السيد الباز العربي : المرجع السابق ، ص ١٥٢ .

تصف المصادر^(٧٥) المعركة الفاصلة فتعكر أن إسلامين هاجمو الخدمة تبع ضبطه وهزموا جتدعا حتى اضطر هؤلاء الجند للاحتباء بكتيبة المدفعية ولكن الروم عذبوا أهاليهم المسلمين بعتف حتى فر المسلمون إسلامهم ، ولكن العباس بن الوليد حمدا في القتال وعمل على تجميع الجند الفارين وبت الخيل في نفوسهم بمذلتهم بقوله « يا أهل القسطنطينة » ، وكان هذا لبدء مفعوله ، فتجمع المسلمون مرة أخرى ، وانضموا البيزنطيين حتى لم يجد هؤلاء مفرًا من تسليم المدينة فدخلها المسلمون في سنة (٨٨ هـ / ٧٠٧ م) بعد حصارهم بها الذي استمر عامين .

وبسقوط مدينة طروانة أصبح المسلمون يتحكمون في أهم مشاكل قبادوقية يأتيا الصغرى ، وأكد لقرار المسلمين على حصار طروانة الذي استمر لمدة عامين لأن هذه المدينة لم يكن مجرد الاعتارة لسربيه والموارد التي همومهم ولكن هدفهم كان الاستيلاء على جند سحر الجيوش إلى القسطنطينية لأمن زحفهم التالي^(٧٦) .

لم تثر المصادر لوجود مسلمة بن عبد الملك خلال المعركة الفاصلة التي استولى المسلمون عليها على طروانة في حين أشارت إلى ما قام به العباس بن الوليد في دور في تثبيت جند المسلمين ، ومن المرجح أن مسلمة بن حصار لديه خبرة قيادة الجند بن الوليد عندما حال و يعلق نجاحهم حمدا أخرى في سنة (٨٧ هـ / ٧٠٥ م) ، وفي هربته

(٧٥) الطبري : المرجع السابق ج ٦ ص ٤٢١ ، ابن الأثير : المعجم السابق ، ج ٤ ، ص ١٠٩ ، الطبري : المرجع السابق ج ١١ ص ٢١١ .
Ostrogorsky: op. cit., 141

وتذكر المصادر البيزنطية طريقها مخطئا للاستيلاء على طروانة ، لذلك أنه تم بعد سنة (٨٨ هـ / ٧٠٧ م) حيث كانت هذه السنة بداية الحصار .
Ency. op. cit., 12-13.

Bury: op. cit., p. 326.

(٧٦)

ومسلم عبد العزيز مرج : المرجع السابق ، ص ١١٥ .

ما تقدم من طوافة استتكت بالجراجعة ، فيقول الطبري^(٧٧) : « لا تقي مسلمة حينئذ الجرجماني ، ومع مسلمة نحو من ألف مقاتل من أهل أنطاكية عدد طوافة ، فقتل منهم يثرا كثيرا ثم تقدم للاستيلاء على عدد من الحصون وتجدد الأشرار هنا إلى أن المصادر الإسلامية لا تتفق في ذكرها لأسماء بعض الحصون والحد التي هاجمها المسلمون في عهد الوليد بن عبد الملك ، كما أنها لا تحق في توايح فتح هذه الحصون ، ويمدو أن السبب في ذلك أن بعض تلك البوارج كان يتكرر فتحها أكثر من مرة ، كما أن هناك بعض أسماء البوارج يصعب تمييزها ، أما لموضوع ما ذكره عنها أبو اليسر في الأسماء لديم^(٧٨) وقد أدركت ما قوت^(٧٩) ذلك الأمر فاعتذر عنه وطلب من يستطيع تصحيح هذه الأخطاء أن يقوم بها .

فيقول خليفة بن خياط^(٨٠) أن مسلمة فتح حصنا يسمى فيعم وبخيرة لفرسان حتى بلغ عسكره تلوديميلس ، وجميعها أسماء لأماكن غير معروفة ، ويقول ابن خلدون^(٨١) أن مسلمة حرا الروم ونجح حصونا كثيرة ومنها حصن موني والأخرم وبولس ، إلا أن ابن الأثير^(٨٢) يذكر أن خروج مسلمة لمحاربة بعض الحصون كان سنة (٨٨ هـ / ٧٠٦ م) أي في نفس العام الذي استسلمت فيه طوافة ، ويذكر أن الحصون التي استولى عليها كانت فلسطينية وخراسانية والأخرم ، أما يعقوب^(٨٣) فيذكر أن مسلمة استولى في نفس العام على حصن جرثومة وسورية (وهي عبر سورية بالشام) .

-
- (٧٧) الطبري - المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٤٢٩ .
 - (٧٨) لصريح المرجع السابق ، ص ١٧١ .
 - (٧٩) ما قوت - المصدر السابق ، ج ٢ ص ٩٨ - ٩٩ .
 - (٨٠) خليفة بن خياط - المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٦٧ .
 - (٨١) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ٧٠ .
 - (٨٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٤ ص ١١٠ .
 - (٨٣) يعقوب : المصدر السابق ، ج ٤ ص ٢٦٢ .

اتخذ المسلمون من مدينة طوالة بعد الاستيلاء عليها نقطة انطلاق لثلاث هجمات أخرى ذالك لولا أن الدولة البيزنطية تسيطر المصادر إلى أن المباس من الوند ومنحه من عدد ذلك افتراق في عام (٨٩ / ٧٠٧ م) فخرج كل منهما للفتح فقامت معركة عمورية (Amorium) وعمورية يفكرها ابن خرداذبة^(٨٠) كاهدي المواقم الحسبية على طريق القسطنطينية - ووصف بناه اامع وأحسن بلاد الروم وهي من الممراته وهي عندهم أثرف من القسطنطينية^(٨١) والفكي معركة عندها يجمع كثير من الروم فجزهم وقتلها^(٨٢) .

ويعد أن تم له فتح عمورية زحف على هرقلية (Heraclea) وانسحقها^(٨٣) ، كات هرقله إحدى المدن الحسبية الواقعة على طريق القسطنطينية^(٨٤) ثم واصل رحلته ففتح خمس قنوديه أو ميثوميديه (Nicomedia)^(٨٥) ثم استولى على حصون سورية^(٨٦) .

(٨١) ابن خرداذبة : المصدر السابق ص ١٠١ + ١٠٦ + ١٠٩ ، ١١٣ .

(٨٥) ابن الأثير : المصدر السابق ج ٥ ص ٢١٧ .

(٨٦) الطبري : المصدر السابق ، ج ٦ ص ٤٢٩ ، ابن الأثير : المصدر السابق ج ٢ ص ١١٠ ، النويري : المصدر السابق ، ج ٢١ ص ٢١٢ .

(٨٧) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٤ ص ١١٠ ، ابن خلدون : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٧١ .

(٨٨) ابن خرداذبة : المصدر السابق ، ص ٩٩ + ١٠٠ + ١١٣ ، باقوت : المصدر السابق ، ج ٥ ص ٣٦٨ ، لستريج : المصدر السابق ، ص ١٦٦ ، يحيى مثقال ، المصدر السابق ، ص ٢٠٣ .

(٨٩) الطبري : المصدر السابق ، ج ٦ ص ٢٢٩ ، ويذكرها ابن الأثير باسم (البونية) لنظر ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٤ ص ١١٠ ، لستريج - المرجع السابق ، ص ١٦٨ .

(٩٠) النويري : المصدر السابق ، ج ٢١ ص ٣١٢ ، ابن خلدون : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٧١ .

أما العباس بن الوليد فقد غزا أفريقية أو دروبلة جورخلوم (Dorylaeum) ^(٩٦) وهي مدينة حصينة على طريق القسطنطينية وتوصف بأنها « مجمع الصاكر للمغرب والروم » ^(٩٧) ، وبعد أن استولى عليها شقق للإستيلاء على البجندون أو البجندون (Bjandones) ^(٩٨) ، وقد وكانت البجندون ذات موقع حصين على طريق القسطنطينية ^(٩٩) ، فقد كان الطريق يمتد من أنطاكيا إلى حوامة والسريق الرمس يؤدي إلى حرقه بنقاس قرب قلعة حصينة تقع على قمة السفوح الجنوبية لجبال طوروس في سهل قبادوقية وهي قلعة اللؤلؤة (Palae) ثم يتجهى الطريق شرقاً في أول الأمر ثم يتجه جنوباً حيث يقع على وادي البجندون البيضاوي الشكل ، ثم يصعد الجبل من البجندون عبر وادي صيفى شديدة الانحدار حتى نهايته ^(١٠٠) ، وكان الاستيلاء على البجندون بعد نصر كبير للمسلمين حيث أعيدت عن يمين جرد عام من طريق القسطنطينية .

ظلت المراكب والشواري اتوازي سنوياً على بلاد الروم بآسيا الصغرى محققه انتصارات ملاحية بالأسيا ، على العديد من مواقع والحصون فبلغت مساهمة حصنه حمص ب سورية سنة (٩٠٠ هـ / ١٧٠٨ م) ^(٩٩)

(٩١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٤ ص ١١٠ ، يكتوبه المصدر السابق ، ج ٢ ص ٤٥٣ .

(٩٢) ابن خردادبة : المصدر السابق ، ص ١١٣ .

(٩٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٤ ص ١١٠ .

(٩٤) ابن خردادبة : المصدر السابق ، ص ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١١٠ ، يكتوبه المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٦٢ .

(٩٥) ابن خردادبة : المصدر السابق ، ص ١٠٠ ، ١١٠ ، يكتوبه المصدر السابق ، ص ٢٦٢ .

(٩٦) خليفة بن خياط - المصدر السابق ، ص ١٠٢ ، الطبري : المصدر السابق ، ج ٦ ص ٤٤٢ ، ابن كثير : المصدر السابق ، ج ٦ ص ٨٥ .

وفي سنة (٥٩١ هـ / ٧٠٩ م) شارك في قيادة حملات الصوائف والشواتي
عبد العزيز ومروان وعمر أثناء توليتهما تتج عنه فتح عدة حصون
كاملها حصن خضيرة^(٩٧) ، وحصن سومية أو ميسية ،
وكانت حصن بين طرسوس ولطناكة اراء على رربي ، ويبدو أن الهجوم
على سومية كان سحيقا حتى أن أهلها جلاوا عنها إلى بلاد الروم ،
وتركوها للمسلمين^(٩٨) .

وفي سنة (٥٩٣ هـ / ٧١١ م) شارك قائدان من غير البيت الأموي
في الغزو فاستولى الوليد بن هشام المصلي على جروج الحمص ،
واستولى يزيد بن أبي كبشة على أرض سورية^(٩٩) ، أما الباس
ابن الوليد ففتح سبطيه (Sobasupolis)^(١٠٠) ثم انسرك مع مروان
ابن الوليد في فتح حصن اماسه (Amase) وحصن نعيد^(١٠١) .

توالت الفتح على أيدي القواد من أبناء الوليد ، وأشادت
بمصادر من كتب من الواقع والحصون من نجاح المسلمين في
الاستيلاء عليها — وإن تكرر تعقيد مواقع بعضها — إلا أن إشارة
بمصادر إلى هذا العهد من الأماكن التي فتحت يلم من أسوار

(٩٧) حجره من مواضع أرض الروم ، انظر : ياقوت ، المصدر
السابق ، ج ٢ ص ٢٩٢ .

(٩٨) الطبري : المصدر السابق ، ج ٦ ص ١٦٨ ، ابن الأثير
المصدر السابق ، ج ٤ ص ١١٩ ، لامية ابن خلدون : المصدر السابق ،
ص ٤٠٦ ، ياقوت : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٩٧ — ٢٩٨ ، كانت
سوية بعد ٦ ميلا من أفة والمصبية ، انظر : فقه ، حسان ، المرجع
السابق ، ص ٢٨٤ .

(٩٩) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ٧١ .

(١٠٠) الطبري : المصدر السابق ، ج ٦ ص ١٦٩ ، ابن الأثير
المصدر السابق ، ج ٤ ص ١٢٩ .

(١٠١) المقفول : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٩٢ ، ابن كثير
المصدر السابق ، ج ٩ ص ٩٢ .

Brecher, op. cit., p. 71

السمي ومصرهم في الاستيلاء على بقية الممقل الواقعة على الطريق المؤدى للقسطنطينية في السنوات التالية من حكم الوند *

على سنة (٩٤ هـ / ٧١٣ م) فتح العباس بن الوليد حصن انطاكية^(١٧٢) وهي انطاكية مسحية (Antioch Pagan) وهي شبه انطاكية الشام^(١٧٣) وافتتح العباس بن الوليد حصن سنجرة^(١٧٤) وفي سنة (٩٥ هـ / ٧١٣ م) فتح العباس حصن طوس وابورسان^(١٧٥) ولما اُخذ الكوفة وسمى الوصافي عمرو الروم - ويبدو أنه نوع في عمرو بن داخل أسما الصري مقتل هو ورحاله الحصن بفناء ألفي رجل^(١٧٦) وفي سنة (٩٦ هـ / ٧١٤ م) فزا بشر بن الوليد الشامية فقتل وقدمت الوليد^(١٧٧) *

وهكذا حققت المرحلة الأولى من خطة الوليد الهدف الذي وضع من أجله وهو كسر استحكامات الدفاع على طول الطريق المؤدى إلى القسطنطينية عن طريق تلك الحملات البرية المتلاحقة *

وكان الوليد من عند الملك قد بدأ في الإعداد للمرحلة الثانية من خطته لعمرو القسطنطينية قبل الانتهاء من حملاته البرية تمامه ، وفي هذا الدور كان لابد من حيازة الأسطول الإسلامي للرفع البري وكان الوليد قد كرس كل الجهود للاهتمام بالأسطول البحري في مصر

(١٧٢) خليفة بن خياط : المصدر السابق ، ص ٤٠٨ ، (بن الأثير : المصدر السابق ، ج ٤ ص ١٢١)

(١٧٣) نفس حقل : المرجع السابق ، ص ٩٠٢
Brehaut Ibid, p. 71

(١٧٤) خليفة بن خياط : المصدر السابق ، ص ٤٠٨

(١٧٥) الطبري : المصدر السابق ، ج ٦ ص ٢٩٢

(١٧٦) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٤ ص ١٢٥

(١٧٧) المقوقس : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٩٢ ، الطبري : المصدر السابق ، ج ٦ ص ١٦٥

والشام منذ بداية عهده ، وفي تلك المرحلة زادت دور صناعة السفن من طاقتها لصناعة واعداد السفن الحربية ، في حين بدأت القوات البرية تتجمع لتتخذ مراكزها في شمال الشام (١٠٥) .

ووصلت أخبار تأميم الاستعدادات الضخمة لاسماع الامبراطور البيزنطي أنسطاسيوس الثاني (٩٤ — ٩٦ م / ٧١٣ — ٧١٥ م) ، فيبدأ في توجيه اهتمامه لتقوية الجبهة البيزنطية في آسيا الصغرى فحين على نشر (Theme) الأناطوليك قائداً من أكفى القواد يدعى ليو (Leo) (١٠٦) ، وفي الوقت ذاته أرسل سفاره الى دمشق في سنة (٩٥ م / ٧١٤ م) واختار لرئاسة هذه السفارة دانيال Danel حاكم مدينة سيفوب Sioop ، وكان رجلاً هصبياً حوثقاً به ، وكان ظاهر الأمر أن السفارة أرسلت دمشق لتتباحث مع الأمويين في عقد معاهدة سلام بين الطرفين ولكن في الحقيقة كان الهدف من هذه السفارة هو التأكد مما وصل للبيزنطيين من نساخات حول الاستعدادات التي تهرى لنزو الفسطاطية (١٠٧) .

وعادت السفارة الى القسطنطينية تذكر أخبار الاعداد لعملية كبرى ، وتصف الاستعدادات الضخمة لها ، فيبدأ الامبراطور البيزنطي أنسطاسيوس من فوراً اعداد القسطنطينية لحصار طويل وأصدر قراراته بأن يقوم كل فرد من سكان العاصمة بتخزين ما يملكه من مؤن لمدة ثلاث سنوات ، وأن يخرج من المدينة كل فقير لا يستطيع ذلك ، وقام هو بملء الخزائن الامبراطورية بكميات هائلة من القمح

(١٠٨) أحمد سفاخر الميبدكي ، والسيد عبد العزيز مسلم : المرجع السابق ، ص ٢٤ ، سيده كالكف : المرجع السابق ، ص ١٥٦ — ١٦٠ .
(١٠٩) Foord, op. cit. p 157.
(١١٠) Bury : op. cit. 371.
ابراهيم العمري : الإغريق والبيزنطيون ، ص ٢١٥ .

والمؤن الأخرى ، واعتم بتحصين القسطنطينية فجدد أسوارها ، وخاصة ما كان منها ممثلا على المياه ، وشيئها بآلات الحرب^(١١١) .

وعلى الرغم مما قام به الامبراطور انطونيوس من اعمال جلادة قد سهيل المحافظة على القسطنطينية الا ان الجند اثقلوا ثورة غنده واطاعوا به ، ونصبوا بدلا منه الامبراطور ثيوفوسيوس الثالث (٩٦ — ٩٩ هـ / ٧١٥ — ٧١٧ م)^(١١٢) وخلال تلك الفترة تولى الوليد بن عبد الملك ، وتولى الخلافة بعده اخوه سليمان بن عبد الملك (٩٦ — ٩٩ هـ / ٧١٥ — ٨١٧ م) الذي لم يتخل عن هذا المشروع العظيم فكرس طوال مدة خلافته من أجل تحقيق الحلم الذي عمل الوليد من أجله ، فأكمل استمدادات تلك الحملة بهماس شديد حيث تحركت نحو القسطنطينية في سنة (٩٨ هـ / ٧١٧ م) تحت قيادة مسلمة بن عبد الملك^(١١٣) الذي أصبح على درجة عالية من الكفاءة الحربية والخبرة بهروب الروم ، وكان للعمليات البرية على آسيا الصغرى التي قادها طوال عمر الوليد أثرها على ذلك موقعه واكتسابه هذه الخبرة الحربية العظيمة .



(١١١) Bury : op. cit. 361 ; Brechde, cit. p 71.

السيد الباق العربي : المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

(١١٢) Foord, op. cit. p 157. Brechde, op. cit. p 71.

السيد الباق العربي : المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

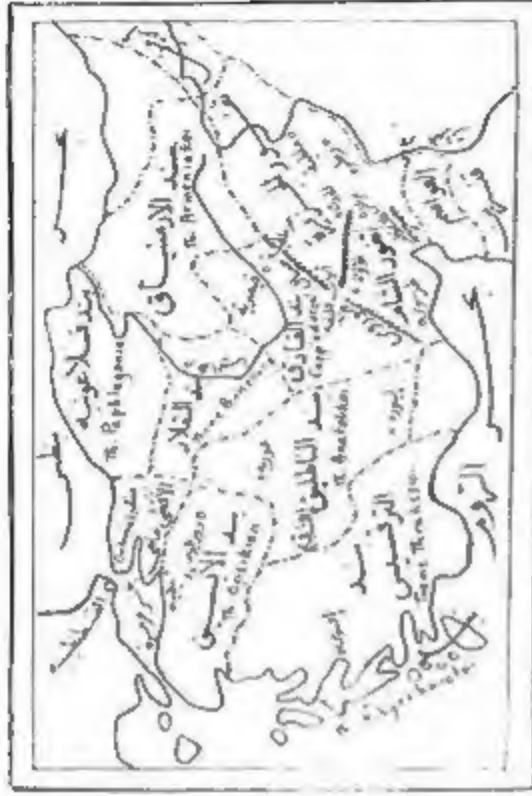
(١١٣) من تلك الحملة انظر : الطبري : المصدر السابق ، ج ٦

ص ٥٢٠ ، ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٤٦ ، ١٤٧ ،

مجهول : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٤ ، ابراهيم المعدوي : الامبراطورية

البيزنطية والدولة السلجوقية ، ص ٥٩ — ٦٠ .

ويعد هذا العرض الموجز الذي تلقى الضوء على حلقة من حلقات الصراع بين المسلمين والبيزنطيين طوال عشر سنوات استغرقت عهد الوليد بن عبد الملك كله يتضح لنا أن الفرصة كانت متاحة أمام الوليد ابن عبد الملك للاعداد لغزو القسطنطينية وتحقيق حلم المسلمين بفتحها ، وكانت هذه الفرصة تحتاج الظروف الداخلية والخارجية التي أحاطت بدولته وبالدولة البيزنطية في آن واحد ، وجاء نجاح الحملات لبرية في كسر استحكامات البيزنطيين على طول الطريق المؤدي للقسطنطينية عاملاً هاماً ساعد على المضي قدماً لاعداد الحملة الكبرى لغتسح القسطنطينية وإذا كان الوليد بن عبد الملك قد توفى قبل خروج تلك الحملة إلا أن الجيود التي بذلها سليمان بن عبد الملك في المضي في محاولة انتقام هذا القتل .



خريطة نوصح سود آسيا الصغرى و اقليم العواصم و النجور

عن كتاب د. إبراهيم همدى . الأمير بطورية البيزنطية والقرن الإسلامي.

مكتبة جامعة مصر . القاهرة ١٩٥٦م